الفصل السادس

الجماعة

تكلمنا في الفصل السابق عن الصبي المصري وعن حالته النفسية عيوبه ومزاياه ككائن مستقل له مشاعره وإحساسه وانفعالاته التي يتعامل بها مع البيئة ومع الصبيان الآخرين تكلمنا عن تصرفاته وميوله وعن دوافعه النفسية لهذه التصرفات ثم عن أثر البيئة في تكوين شخصيته ومزاجه حرصنا على أن ننظر اليه كفرد مستقل تربطه علاقات منوعة بالافراد غيره يلعب معهم وينشط فيما ينشطون فيه يستجيب المؤثرات التي يستجيبون لها يؤثرون فيه ويؤثر فيهم.

ولكن الأفراد يكونون جماعات ومجتمعات لها قواعد اجتماعية تربطها ببعضها وتربط الافراد فيها ببعضهم. لهذه الجماعات شخصية اجتماعية تختلف باختلاف الحياة والبيئة وطريقة العيش وليست الجماعة مجموعة أفراد فقط وليس كل مجموعة من الأفراد يكونون جماعة ذلك لان لها كيان ولها وحدة ولها معنى أكثر من كونها عدد من الأفراد أو الوحدات لا غير ولها نفسية تغاير نفسيات الأفراد فيها ولها عقلية خاصة بها تتشابه بعقليات الأفراد من بعض الوجوه وتختلف عنها كل الاختلاف من بعض الوجوه الأخرى مما أدى بالعلم أن يفرد لها بابا خاصا ودراسة معينة تتميز من دراسة الفرد الانساني وذلك هو علم النفس الاجتماعي.

بالطبع تختلف الجماعات كما تختلف الأفراد فجماعة قوية منظمة تعرف ما تريد وتعمل على بلوغ غايتها يخافها الأفراد فيها ويخشون بأسها ويعملون لها كل حساب ينشطون إذا نشطوا مرضاة لها وسعياً لخدمة أغراضها ويمتنعون عن النشاط لأنها تريدهم على أن يمتنعوا. الرأى العام فيها واضح

قوي ولا يجرؤ الفرد على العبث بهذا الرأي أو التنكر له وإنما يسايره بغض النظر عن مزاجه الخاص. الافراد فيها متساندون متعاونون مؤدون الواجب عليهم بغض النظر عن الخلافات الشخصية بينهم. لمثل هذه الجماعة تقاليد خاصة مرعية وعادات اجتماعية يرعاها الافراد ويحافظون عليها ويخشون مخالفتها أو اتباع طريق مضاد لهذه العادات والتقاليد .

وجماعة أخرى يستهين بها كل فرد لأنها في الواقع ليست جماعة وإنما هي مجموعة من الأفراد لاغير أو قطيع من الآدميين اجتمعوا بحكم الجوار في المكان كأن يكون المكان سوقا عامة أو متنزها يؤمه عدد من الناس. مثل هذا العدد من الناس لا يدخل في باب الجماعات فلا شخصية لهم ولا تقاليد أو عادات خاصة بهم تربطهم وتخلق منهم كائنا معنويا له مميزاته وخصائصه التي يحترمها الفرد ويقدر لها خطرها ثم ليس لهم أغراض معينة محدودة اجتمعوا عليها يسعون لتحقيقها وليس لدى الأفراد فيها شعور أو إحساس بغاية يسعون اليها أو بمجهود يبذلونه ويتعاونون فيه لتحقيق أمر من الأمور . كل فرد فيها يشعر بشخصيته مستقلة عن الجماعة وعن الافراد الآخرين له غاياته وأغراضه وله نشاطه الذي يمارسه لتحقيق هذه الأغراض

للجماعة المنظمة أغراض تسعى اليها ولا يهم نوع الأغراض فقد تكون اقتصادية أو سياسية أو حربية أو لمجرد التسلية واللهو وإنما تنتظم وتسعى لتحقيق غرض معين وهذه الأغراض أو هذا الغرض يقبله الأفراد فيها على أنه رغبتهم الخاصة كأفراد وهوايتهم التي يهوونها وحاجة ملحة عندهم يسعون وراء تحقيقها ولا يهم كيف ظهرت هذه الرغبة أو من اقترحها أو عبر عنها من الأفراد وإنما المهم أن الجماعة شعرت بها وأخذت تسعى إلى تحقيقها واجتمعت كلمة الافراد فيها على هذا الأمر ولا يخلو الامر من وجود بعض الافراد المخالفين الذين لا تهمهم هذه الغاية في شيء وإنما لانهم نشأوا على حياة الجماعات المنظمة وترعرعوا في أحضانها تراهم

يشتطون لنفس الغاية حبا فى النشاط مع الجماعة وسعياً وراء تحقيق أغراض الأغلبية فيها ذلك لشعورهم بالواجب الاجتماعى وتغلغل هـذا الشعور فى نفوسهم ولاحساسهم بقيمة الجماعة وخطرها وأنها شيء لا يستهان به

وكما تضع الجماعة أغراضاً لها تتخير السبل لهذه الأغراض أيضاً ثم تتبع هذه السبل وكما أن الفرد يقبل الأغراض ويعمل على تحقيقها فهو يقبـل السبل أيضا ويعمل على اتباعها فلا يسير فى ناحية والجماعة تسير فى ناحية أخرى لأن فى هذا امتهانا للجماعة لشكل ما ولأن الجماعات المنظمة تحرص على أن لا تمتهن بحال من الأحوال.

ثم تجمع على نوع الحكومة أيضا وهذا أمر مهم لا تغفله جماعة منظمة ولا يهم نوع هذه الحكومة ما دام الأفراد قد قبلوها وما داموا قد شعروا أنهـا أصلح حكومة لهم وهـذه الظاهرة هي أهم المميزات للجماعة لأن الأغراض والوسائل تتغير من حين إلى حين ومن زمن إلى آخر وبتغير الأحوال والظروف وانما شيء واحد لا يتغير وهو أن للجماعات المنظمـة نوعا من الحكومة يخشى الفرد بأسها ويعمل حسابها لأنها تستمد قوتها من الرأي العام ومن ميل هذا الرأي العام إلى النظام وإلى السـير بحسب القوانين الموضوعة .

ونجد أن الشعوب الراقية المتمدينة تعيش دائماً أبداً فى جماعات صغيرة فللصبيان جماعات وللبنات جماعات وللسيدات جماعات وللرجال جماعات وكل هذه الجماعات تنظم لها حكومات معينة تسير بهذه الجماعات دون أن تتوقف عن السير ودون أن يعبث الأفراد بها أو بالرأي العام فيها أو بحكوماتهـا فتبعثر وينفثر عقدها ويصبح الأمر فيها فوضى بالطبع يشعر الفرد فى هذه الجماعات بكامل حريته يبدى رأيه كيف يشاء فى أغراض الجماعة ووسائلها ونوع الحكومة فيها وانما ما يخشاه وما يعمل له حسابه هو العبث بها أو العمل على تفككها ونثر عقدها أما إذا شعـر الفرد يوماً ما بأن مزاجـه لا

يتفق ومزاج الجماعة لسبب من الأسباب فهو في حل من البقاء فيها ويستطيع أن يتركها إلى غيرها ولكنه يخضع لها ويعمل حسابها ما دام باقيا فيها وإذا تركها إلى غيرها يفعل مثلما فعل في الجماعة الأولى أي يقبل أغراض هذه ووسائلها ويخضع للرأي العام فيها ويحترم حكومتها كل الاحترام .

وتنظيم أمة أو شعب في جماعات صغيرة لها أغراضها ووسائلها وحكوماتها من ألزم الأمور لبنيان الشعب وتكوين الأمة ونضوجها من جميع الوجوه له أثره البالغ في السياسة العامة للدولة وفي حياة الشعب الاجتماعية والاقتصادية والصحية والأخلاقية ثم هو الحجر الأساسي في غرس الوطنية والشعور بالقومية في الأفراد فالأمة التي لا ينتظم أفرادها في جماعات صغيرة تضم معظم أفرادها تكون عبارة عن مجموعة من الأفراد أو قطيع من الآدميين لا تربطهم ببعضهم روابط عدا روابط الرحم والجوار والعمل وهذه جميعها من أضيق الروابط حدودا وهي أدعى إلى تفكيك الوحدة القومية منها إلى بنيانها واكتمال أسبابها .

وليست هذه الظاهرة غريزة فطرية ليس من طبيعة الفرد أن ينظم الجماعات وحكوماتها أو ينضم اليها وتخضع للرأي العام فيها. حقاً أن الطبيعة حبتنا بغريزة اجتماعية هي الميل الفطري للناس والشعور بالحاجة اليهم والوجود بينهم وان العزلة والانقطاع مرض نفساني وليس حاجة فطرية عندنا وانما التنظيم الاجتماعي والسعي لتحقيق أغراض الجماعات والخضوع للرأي العام فيها كل هذه أشياء تبثها التربية في نفوس الأفراد ولا تتم إلا إذا قصد اليها قادة الأمة والمفكرون فيها ومن اليهم ممن بيدهم أقدار الشعوب هذا منهج يوضع وخطة يفكر فيها عن دراية وقصد ولغاية اجتماعية يرمي اليها من يضع الخطة والمنهج أما إذا تركت الأمور تسير في مجراها العادي الطبيعي دون توجيه فالنتيجة لذلك أن يحقق الفرد غرائزه الطبيعية دون رابط أو ضابط لهذه الغرائز.

obeikandi.com

ولا نظن أن مجهودات المصلحين فينا تجدي أو تأتى بثمرة ما إذا ما وجهت إلى الكبار البالغين من الشعب المصري يخيل الينا أنه لا فائدة من المحاولات الكثيرة التي نشهد بها الآن فى المحيط المصري لأنها مقصورة فى الواقع على الجيل الراهن الذي يطلع باعباء الحياة الاجتماعية القائمة الآن فى مصر لأننا تقدمنا فى السن وتكونت فينا العادات والامزجة والميول التي لا يمكننا التخلص منها بسهولة أو القضاء عليها و إزالتها من نفوسنا والبدء بحياة جديدة لم نمهدها واستنباط أمزجة وعادات وميول لا عهد لنا بها لا يمكن أن نمنع التدخين من مصر مثلا ونقضى على هذه العادة فى الجيل الحالى وكل مجهود فى هذه الناحية مجهود ضائع ذلك لأن الفرد البالغ تسيره بضعة من العادات ركن اليها واستسلم ورضيت نفسه عنها فاخذت توجهه من لحظة إلى أخرى فى حياته العادية فترك زمام نفسه اليها وفرغ هو إلى شؤونه الأخرى.

أما إذا أرادت الأمة تنظيما للجماعات فيها إذا أرادت خلق هذا الجو الاجتماعى الذي ينهض بالقومية والوطنية فينا والذي يستطيع أن يعيننا على التخلص من النوائب الاجتماعية والنفسية الكثيرة فيحسن بأولى الأمر فينا أن يغفلوا هذا الجيل الحالى من حسابهم كل الاغفال ويوجهوا كل مجهوداتهم إلى الأطفال — البنات والصبيان — أولئك الذين لا يسيرون فى الحياة بمقتضى مجموعة من العادات تمكنت من نفوسهم فلا يعودون قادرين على اختيار مناهج الحياة هؤلاء مقبلون على الدنيا والحياة باستعدادات فطرية لاختيار وتيرة الحياة ومنهجها صفحات نفوسهم بيضاء كلوحة التصوير قابلة للمنهج الذي يختار لها وينطبع عليها قابلون للتربية والتوجيه فيستطاع تغيير نماذج حياتهم إلى أن تصبح مغايرة لما نحن عليه الآن كشعب وكأمة.

يخيل الينا أنه من المستطاع استنباط المنهج ووضع الخطة بحيث نخرج

جيلاً من المصريين أكفأ وأقدر على الحياة القومية من الجيل الحالى جيلاً خالياً من الشوائب التى يشكو منها الآن يخيل الينا أننا نستطيع أن نقضى على كثير من العناصر المفسدة فى حياة الأفراد ونرعى العناصر النافعة ونمهدها إلى أن تشيع فى الجو الاجتماعى وتصبح هى البيئة المصرية التى يعيش فيها الناس ويسعون إلى أرزاقهم وهذا يطلب شيئين يتطلب أولا أن الشعب يقتنع بوجهة النظر هذه ويؤمن بأن تنظيم حياة الأطفال أمر ضرورى للحياة الاجتماعية لا يمكن أن تصلح من دونه وثانياً تتطلب منه أن يضع خطة لمدة طويلة من الزمن يكون من نتيجتها تنظيم حياة الصبيان ثم يوالى العمل باستمرار إلى أن يصل إلى هذه الغاية .

وتتميز جماعات الأطفال من جماعات الكبار بشىء مهم تنفرد به دون تلك وهذا هو وجود القادة المدربين ذوى المران الطويل والذين لهم من الثقافة الواسعة والدراسة الشاملة لعلوم الاجتماع والنفس وعلم النفس الاجتماعى قسط وافر يعينهم على تحديد الأغراض التى يسعون اليها ، واختيار السبل القويمة التى تؤدى إلى هذه الأغراض ، وجود هؤلاء ضرورى جداً لتنظيم حياة الصبيان فى هذا البلد أو فى سواه .

هذا الضرب من التنظيم لحياة الجماعات غير موجود فى بلادنا بالمعنى المتقدم إلا فى القليل النادر الذى لا يقاس عليه ، ثم يكاد لا يكون موجوداً على الاطلاق فى حياة أطفال الشعب ولا نعلم إلا بوجود بضعة من الجماعات القليلة التى أخذ فى تنظيمها جماعة من المشتغلين بالخدمة الاجتماعية (أمثال محلات الرواد ومبرات التعاون ونادى كوبرى الليمون) ومجموع ما تخدم هذه الهيئات من الصبيان لا يصل بحال الى الألف صبي أما مئات الألوف من الصبيان فقد تركوا وشأنهم دون تنظيم لنشاطهم أو لحياتهم من جميع الوجوه تركوا للحارة وللشارع وللصدفة تعمل منهم رجالا كيفما اتفق لا يصلحون لبناء أمة أو شعب متماسك منظم مرتبط كل الارتباط .

لا تنظيم ولا شبه تنظيم لحياة الأطفال عندنا ، فاذا كانت النتيجة لهذا ما هي الخلال الاجتماعية التي شاهدناها ولمسناها في حياة هؤلاء ، وما أثر هذه الحالة في حياة الافراد الأخلاقية والنفسية والاجتماعية : هل كان من شأنها أن تطبعهم بطابع معين واضح يراه الباحث ويستطيع أن يتميزه من العناصر الأخلاقية الاخرى ، وبعبارة أخرى ما هي نتيجة دراسة جماعتنا في هذا الباب .

وجدنا الفوضى ضاربة أطنابها بينهم : وهذه ظاهرة لا تحتاج إلى درس وبحث . وتكوين جماعات تقصر جهودها على الدرس والبحث فهي واضحة يلمسها الناس في كل مكان ، ويخطيء من يظن أن الفوضى ضرب من الحرية الفردية امتدت واتسعت ونمت إلى أن اصبح لا يحدها شيء ، يخطيء من يظن أنها تمت للحرية أو معنى الحرية بشيء فالحرية الفردية والاجتماعية هي نوع من التوازن بين الغرائز والنزعات وهي تنظيم للغرائز والنزعات بحيث يترك المجال لكل واحدة منها على حدة لتنمو وتحقق الغاية منها بشرط أن لا يطغى بعضها على بعض فتفسد الواحدة منها عمل الأخرى ، فالفرد الذي يجد المجال متسعاً لتنمية أعضاء بدنه كل على حدة ولتحقيق غرائزه ونوازعه النفسية كل فيما تسعى اليه يكون نظاما عضوياً سليما متزن الحياة صحيح البدن والنفس وبعبارة أخرى يصبح كائنا حراً ، وحريته متوقفة على هذا التوازن بين أعضاء جسمه عضواً عضواً ونوازع نفسه نازعة : أما إذا افلت زمام أحد أعضائه أو نوازعه فاخذ ينمو دون التقيد بحد من الحدود فقد يفقد الانسان كله توازنه وبالتالى يفقد حريته ويصبح الأمر فيه فوضى ، فلو تضخم قلب إنسان ما إلى أن أصبح فى حجم قلب الفيل مثلا لاخل هذا بتوازنه وأفقده حرية العمل والنشاط وقضى على قدرته على الحياة والعيش .

فالفوضى فى الجماعات هي فقدان التوازن بين أفرادها ، واختلال التوازن يضيع على الفرد فرصة النمو في الحدود النفسية والاجتماعية المعقولة ، أو هو

يسلبه الحرية الضرورية لنمو شخصيته ، وأطفالنا يعيشون في فوضى لا ضابط لهم ، وحياتهم الاجتماعية متفككة ، يجتمعون معاً فقط لأن غرائزهم تدفع بهم إلى البحث عن النوع الانساني وملامسته والاتصال به شأنهم في هذا شأن القطعان يسعى اليها الفرد من نوعها بدافع غرائزه ويرضى بالاتصال بها والوجود بينها ويكتفي بهذا دون سواه .

بالطبع لا يفهم أطفالنا معنى الحرية فهي عندهم الانطلاق من كل قيد اجتماعي والاستسلام إلى النوازع النفسية دون إقامة الحدود بين هذه النوازع فالفرد منهم ينشط إذا وجد لديه الدافع النفسي للنشاط ، ويمتنع عنه إذا شعر أن مزاجه منحرف عن النشاط ، ينظر للجماعة كلها على أنها وسيلة من وسائل إرضاء نفسه لا غير ويقبل عليها لا على انه وحدة فيها أو جزء من أجزائها يخدم أغراضها ويعينها على بلوغ تلك الأغراض وانما على أنه كائن مستقل كل الاستقلال عنها ، لا يعنى إلا بما يجول في نفسه من الانفعالات والمشاعر ، وهذا معنى الحرية عنده ، شأنه في هذا شأن السرطان ينمو في الجسم مستقلا عن الجسم ويسير في اتجاه يغاير اتجاه خلايا الجسم الأخرى ، ذلك لأن لا علاقة له بالجسم ولا شأن له به إلا فيما يتصل بالغذاء الذي يتناوله منه على حساب باقي الخلايا جميعا وعلى حساب الاعضاء الحيوية في البدن .

وشيوع الفوضى بين أطفالنا نتج عنه بضعة خلال اجتماعية قبيحة لا بد وأن تؤثر في حياتنا القومية وتصيبها بكثير من العلل والادواء سوف يضنى الجيل القادم نفسه في التفكير في الخلاص منها ، وسوف يضطر مثلنا إلى تأجيل الاصلاح إلى جيل غيره وإلى زمن غير زمنه .

من هذه العلل الاستخفاف بالجماعة أيا كانت وإغفالها من حساب الفرد عند كل حساب ، ليس للجماعة عند الصبي معنى وليس لها وجود ككائن حي له رغباته وميوله ومزاجه وله أغراضه التي يسعى إلى تحقيقها ، لا

قيمة للرأي العام لديه وإنما القيمة والقدر الذي يعمل له حساب هو رأي الفرد القوي أو الذي يتظاهر بالقوي ويستطيع أن يخدع الناس عن نفسه ، فما دام الصبي بمنجاة من هذا الفرض ومن أمثاله فلا عليه من رأي عام أو ما أشبه ، هذا لا وجود له ولا خطر منه ، لا تجد صبيا يعنى بغرض اجتماعي أو بغرض الفائدة منه تعود على جماعة بذاتها سواء أكانت هذه الجماعة أمامه يحسها ويلمسها أو كانت بعيدة عنه .

والجماعة نفسها لا تحس لنفسها وجودا وبالتالى لا حول لها ولا طول بل تحس الأفراد فيها انهم قطيع وليس للقطيع شخصية معنوية وانما هو مكون من أفراد مستقلين كل منهم يسير على هواه ما دام لا يصطدم بفرد آخر يمنعه عن تحقيق أغراضه : وبعبارة أخرى لا تعرف الجماعة انها جماعة : لا يحس الافراد وهم مجتمعون أنهم يختلفون وهم منفردون ، لا يدخل فى حسابهم أنه باجتماعهم فى مكان ما ولغرض ما قد أصبحوا شيئاً أكثر من كونهم عدداً من الناس ، قد أصبحوا كائناً حياً كجسم الانسان ، للجماعة كجماعة إرادة ونزوع تغاير إرادة الأفراد ونزوعهم وأن الأفراد ليسوا أفراداً فحسب وإنما أعضاء حية فى الجسم الاجتماعي .

لا تشعر الجماعة بشيء من هذا ولا يشعر به الأفراد أيضا فكانت النتيجة من ذلك أن الجماعة بمعناها المفهوم عندنا لا وجود لها بين الصبيان فكثيراً ما نجد عدداً من الأولاد يلعبون مثلا وقد ملك اللعب كل مشاعرهم وهم يلتذونه ويقبلون عليه وإذا بصبي يحضر إلى مكان اللعب ثم يدخل الملعب ويأخذ أداة اللعب من الأولاد ويصر على أن لا يعطيها لهم إلا إذا أفسحوا له مكانا ليلعب حتى ولو باخراج طفل آخر من الملعب ، يتبين على الصبيان فى هذه الحالة مشاعر مختلفة لا يخطئها من يرقبهم عن كثب ويدقق النظر فبعض الأفراد يخافون هذا الصبي فينكمشون ويتركون المجال لغيرهم ليفعلوا ما يقدرون أن يفعلوه دون تدخل منهم ودون عون ينتظرونه على أيديهم ، وبعض الأفراد يشعرون بالاهانة الشخصية الموجهة لهم كافراد : فنجد

فرداً منهم ينازع هذا الصبي الأمر ويهاجمه بالألفاظ إذا كان غير واثق من نفسه كل الوثوق أو إذا كان يظن أنه لا مجال له مع ذلك في نضال بدني وقد تجد صبيا آخر لا يستنكف من النضال البدني فيصنع شيئاً في الموضوع وبالاختصار تجد أن كل الانفعالات في هذا الحادث إنفعالات فردية لا أثر لمشاعر الجماعة فيها لأن الجماعة تحللت إلى عناصرها الأولية وأصبحت مجموعة من الأفراد المستقلين .

ونشاهد هذه الظاهرة في حياتنا العامة وتشاهدها عند نافذة محطة السكة الحديدية أو في دور السينما أو في الشارع فالفرد في كل هذه التصرفات يشعر أنه يتعامل مع أفراد لا غير ، أما الجماعة أو الشعب أو الناس فلا اعتبار لهم عنده ، يسير الفرد في شوارع القاهرة بعد منتصف الليل يغني ويزعج الناس أو الجماعة بصوته ويقلق منامهم ذلك لانعدام الاحساس والشعور بالجماعة فيه وهو لا يحس إلا بالافراد ، ما دام لم يقصد له فرد بذاته في نوازع نفسه ما يشعره بأن هنالك جماعة يعمل حسابها .

ولانعدام الشعور بالجماعة فينا يرجع كثير من الأمراض الاجتماعية والأخلاقية والبدنية ، فالمرأة التي تلقي بالقاذورات في الشوارع تفعل هذا لأنها تريد إنقاذ منزلها من هذه القاذورات فقط لا غير وما دامت لم ترمها أمام منزل بذاته تخشى الساكنين فيه فلا بأس عليها ، أما الناس عامة أو الجماعة التي تقطن الشارع والسائرون في الشارع هؤلاء كجماعة لا تقيم لهم وزناً ولا تعمل لهم حساباً ولا يمكن أن تجد في القاهرة من أولها لآخرها سكان شارع مثلا قد أجمعوا أمرهم على أنهم جماعة أو كائن اجتماعي ، لا نظن أنك واجد مثل هؤلاء قد انتظموا فيما بينهم وقسموا الشارع إلى أجزاء وعهدوا إلى كل منزل الاهتمام بالجزء الذي يخصه وعنوا بتنظيفه باستمرار هذا شيء لم تألفه نفوسنا ولم تمارسه ، ولم تكن لنا الثقافة والتربية التي تحملنا على المران عليه .

وأطفالنا محرومون من الفرص لتربيتهم وتثقيفهم ومرانهم على هذه الخصلة الاجتماعية ، وهم على حالهم الراهنة لا يصلحون لتكوين الجماعات المنظمة وسوف يعجزون عن هذا إذا لم يعمل الشعب على توفير العناصر اللازمة لهم فى بيئتهم حتى تتغير نظراتهم وميولهم نحو الجماعة .

والجماعات المنظمة فى أى دولة من الدول أو شعب من الشعوب هي أساس القومية والوطنية فيها .

الولاء انفعال نفسانى يتولد من غريزة حب النفس ومن الغرائز الاجتماعية كحب الاتصال بالغير والاقبال على معاشرتهم ، هاتان الغريزتان تتفاعلان فى الفرد متزنتين متكافئتين فاذا استمرتا فى تفاعلهما وفى توازنهما زمنا طويلا طبعتا نفسية الفرد بطابع خاص واعطيتاها لوناً اجتماعياً ونفسياً معينا هو الولاء الذي يدفع بالفرد فى كثير من الأحيان إلى تحمل صنوف المشقات في سبيل الغير ممن هم موضوع هذا الولاء . والفرد يدرج فى حياته على هذه الخصلة وينصرف بمقتضى هذا النازع النفسي ما دام يمكن تجنب النزاع بين هاتين الغريزتين وما دام المجال والبيئة لا تعملان على إيجاد التنافر بينهما بحيث يصبح الفرد لا يستجيب الا لدافع الأثرة وحب النفس وهى الغريزة الأقوي والأقدر على الطغيان ، ما دامت البيئة لا تعمل على إيجاد هذا الشقاق بينها يتطور الولاء فى نفسه بحيث يصبح من أجمل الخصال الانسانية وأنفعها للجماعة والأمة والشعب .

يبدأ الولاء فى الطفل فى السنين الأولى من حياته وتكون أمه موضوع ولائه فى أول الأمر ثم أبوه وأخوته وأقرباؤه ومن يمتون اليه بصلة من الصلات ، يبدأ يحب نفسه وحب ثدي أمه الذي يعطيه الطعام ثم يتدرج من هذا إلى شخص أمه فيكون صلات نفسية بينه وبينها يحبها حباً فى نفسه وحباً فيها هي ، وبتفاعل هذين العاملين يتكون فى نفسه عامل الولاء لها بحيث يستطيع أن يضحي بالشيء القليل مرضاة لها واستجلاباً لمنفعتها ،

وهكذا الحال مع باقي أفراد العائلة التفاوت قليـــلا أو كثيرا بين هؤلاء الأفراد تبعاً للنزاع بين غريزتي النفس والاجتماع الذي يثيره أفراد العائلة في نفسه ، ولنفرض جدلا أن الحياة العائلية كان من شأنهـا أن بذرت بذور الولاء في الطفل وتعهدتها وقضت على العناصر المضرة بها تخرج الطفل سليما إلى الجماعة الأخرى .

يخرج طفلنا من الجماعة الصغيرة المحدودة وهي العائلة إلى جماعـة أكبر منها وأكثر عدداً وتباينا في النزعات يصبح الطفل صبيا وعضوا في جماعات الصبيان ، ولأنه جديد العهد بهذه الحياة الاجتماعية ولأنه حديث الاتصال بهذه الشخصيات الجديدة يبدأ حيث بدأ في عائلته بالنظر اليها من وجهـة نظره هو من حيث الفائدة التي تعود عليه شخصيا من هذا الاتصال وبالنفع الذاتي الذي يلحقه منها ، وبعبارة أخرى يبدأ بنفسه أولا وقبل كل شيء يستجيب لغريزة حب النفس أول ما يستجيب ، فاذا تصادمت في نفســه الغرائز والدوافع تراه مستعداً لأن يقبل طغيان غريزة الأثرة على الغريزة الأخرى ، أما إذا كانت الجماعة منظمة لها قواعد ونظم تحفظ التوازن بين هذه النوازع ولها قيادة رشيدة حكيمة ترسم الخطط لهذا التوازن فتحافظ على مصالح الفرد وتتعهد روح الجماعة وتقويها . يتعاون هذان النازعان في نفس الطفل ويكونان عاطفة الولاء للجماعة فيصبح الطفل محباً لها ينزع إلى خيرها ومصلحتها مضحياً في سبيل ذلك ببعض مصالحه الصغيرة .

تستغرق هذه الفترة من حياة الصبي ما يقرب من عشر سنـين أي ما بين سن العاشرة والعشرين مثلا ، وهذه فترة من الطفولة طويلة تترك آثارهـا المستديمة في الصبي . ولنفرض أن الصبي قضى هذه الفترة في جماعة منظمة كالتي وصفناها ، إذا حدث هذا امتد أفق الولاء عند الصبي واتسع إلى أن يصبح شبل الجماعات التي يعيش بينها وينشط ، يصبح غيورا على مصلحتهـا ومنفعتها بحيث يقاوم كل ما يضرها أو يعطل نشاطها أو يفسد أغراضها ، ويصبح للناس عنده معنى آخر غير أنهم عدد من الأفراد ، يصبح للجماعـة

معنى غير أنها قطيع من الآدميين ، تصبح نظاماً حياً يفيد منه الفرد ويحصل منه على منافع نفسية ومادية ثم يشعر أن خير الجماعة متوقف على مجهوداته الشخصية إلى حد كبير ويشعر من نفسه الحافز على بذل هذه المجهودات .

يصبح الصبي شابا ويدخل الجماعة الكبرى ، ينضم إلى صفوف الشعب ويصبح عضواً في كائن حي هو الأمة من أولها إلى آخرها ، يخرج وهو متمرن على الحياة الاجتماعية شاعراً بأثر الجماعة في حياته وأنه لا غنى له عنها بحال من الأحوال فمن طريقها يجد الأمن والطمأنينة وفيها يجد المتعة والتسلية وبالتعاون معها يجد حاجاته المادية من مأكل وملبس وغير ذلك وصحة بدنه متوقفة على خلوها من الأمراض ، تتوافر له اللذة في الحياة تبعاً لتوافرها لهذه الجماعة الكبرى ، ثم يحس بحب وعاطفة نحوها وينزع في تصرفاته عن هذه العاطفة وهي الولاء .

والوطنية هي عبارة عن اعتزاز الفرد بقومه وبشعبه دون باقي الشعوب والاهتمام لكل ما من شأنه أن يعود بالنفع على المجموع والتصرف في الحياة بمقتضى هذا الحافز النفسي ، فإذا ألمت بقومه مصيبة يسارع إلى العمل مع العاملين على إزالتها أو التخفيف من أثرها ، يعين الشعب في المشروعات التي ترمي إلى إصلاح الأحوال الصحية والاجتماعية والاقتصادية وبعبارة أخرى يفهم معنى الشعب والجماعة والوطن يشعر أنه لا يواجه الحياة بمفرده مقطوع الصلة بغيره وإنما يواجهها على أنه خلية في جسم كبير هو الأمة بحالها وأن ما يصيب الناس يصيبه إن خيراً فخير وإن شراً فشر .

كل هذه الخطوات لازمة لتنشئة الصبيان على حياة اجتماعية نافعة يلزمه حياة منزلية صالحة في سن الطفولة وحياة اجتماعية صالحة في سن الجماعات الصغيرة وهي ما بين العاشرة والعشرين تقريبا ، ويخيل إلينا أنه إذا توافرت له البيئة الصالحة في هاتين المرحلتين أصبح هو عاملا نافعا معها في المرحلة التالية وهي مرحلة الرجولة وأصبح صالحا لتكوين الجماعات المتماسكة القوية .

ونظن أننا في غنى عن القول أن أطفال الشعب تعوزهم هذه الخلال جميعا فلا هم ينتظمون في جماعات ولا ولاء لهم لجماعات ولا هم يفقهون شيئاً عن القومية أو الوطن والوطنية ، وما هم إلا قطيع من صغار الآدميين ينزع كل منهم عن دوافع الأثرة وحب النفس لا غير كل منهم معنى بنفسه ويجنب نفسه ما يضر أو يتعب أو ينغص العيش والسلام.

والحكومة عند هذا الصبي عبارة عن نوع من الاغتصاب هي استقواء فرد أو جماعة لأنفسهم وشعورهم بالقدرة على الاغتصاب فيجتمعون لممارسة هذه السلطة دون سبب مفهوم لديه وتتمثل الحكومة المصرية لديه برجال البوليس يبثون بين الناس لمضايقة الناس وكف أيديهم عن أن تمتد لما تهواه نفوسهم ، وجود الحكومة نقمة على الناس لأن تصرفاتها وتصرفات رجالها غير مفهومة أولا ثم انها لا تتصرف بطريقة مفهومة الا متى انقضت على فرد منهم وألقت به في السجون والمعتقلات ، في هذه الحالة يفهم هذه التصرفات لانها تمسه في شخصه أو في أقرب الناس اليه ولا يستطيع أحد أن يمنع الحكومة مما تريد لانها قوية ولها من رجال البوليس طائفة لا حصر لها تفعل بهم ما تريد وينفذون لها إرادتها وشأن القوي في هذه الدنيا أن يتبع هواه دون رادع أو وازع.

لا ننكر أنه يطمئن اليها في بعض الأوقات القليلة وذلك عندما تنصفه من خصم قوي أو من رجل استعبده بأن تقبض على هذا الخصم وتودعه السجن ، في هذه الحالة يري الصبي للحكومة عملا نافعا وقد يخطر له انها قد يمكن لها أن تؤدي بعض النفع للناس ولكن هذا في القليل النادر والنادر لا يقاس عليه .

يأخذ هذا الطفل معنى الحكومة في المنزل عن والده تتمثل فيه السلطة والقوة والحكومة أوامره لا مرد لها ، نواهيه نافذة دون بحث أو كلام سواء أكانت مفهومة لدى الطفل أم غير مفهومة وليس من شأن السلطة

أن تتفاهم أو تشرح الأسباب لتصرفاتها أو تحاول أن تبررها وتبين ضرورتها للعائلة وللطفل نفسه ، إذ لا داعي عندها أن تسعى لكسب تعاون الطفل القلبي يكفيها منه أن يطيع ويفعل ما أمر به ترضى منه بالتصرف الخارجي الواقعي وتكتفي به أما ما يحدث في داخل نفسه عجزه عن فهم العلة في هذه الأوامر أو تبرمه بها وعدم ارتياحه اليها فهذا شيء لا يعنيها ولا تهتم له.

ثم يخرج الطفل إلى الشارع صبياً ينضم إلى طائفة مثله من الصبيان تتكون منهم جماعات أو قطعان هنا وهنالك يلعبون وينشطون مما فيجد الجو في هذه الحياة لا يختلف عنه في المنزل ، يجد نوعا من التسلط والحكم أو نوعا آخر من الحكومة ويجد أنها هي أيضا مبنية على هوى الفرد أو بعض الأفراد ، يأمرون فيأتمر باقي الصبيان وينهون فينتهون ، والدافع لهذه الأوامر والنواهي هو الهوى الشخصي والشهوة النفسية دون غيرها ،ويجد أن في يد هؤلاء من القوة ما يستطيعون به إخضاع الأفراد قوة واقتدارا، وهم يفعلون هذا في كل لحظة من اللحظات ثم لا يجد ضابطا لهذه الشهوات، لا قاعدة لها تسير عليه ولا غاية مفهومة ترمي اليها من خدمة أو نفع للجماعة.

أما الحكومة كسلطة تحافظ على الحقوق والواجبات أو كهيئة تحفظ التوازن بين الجماعة وتنظم جهود الأفراد في خدمة الأفراد الآخرين ورعاية مصالحهم والسهر على مصلحة الجماعة كلها تجنبها الأغلاط والأخطاء التي قد تضر بها وتحملها على النشاط الذي قد ينفعها ويعود عليها بالفائدة ، أما الحكومة التي تميز الأغراض من النشاط وترسم له الخطط والوسائل بحيث تؤدي هذه جميعاً إلى سعادة الفرد واستمتاعه بالحياة واستخلاص اللذة والانبساط منها فهذا شيء بعيد عن دائرة اختبار الصبي ، هذه الحكومة لم يكن له بها عهد ولم يصادفها في حياته هذا النوع من التنظيم الاجتماعي بعيد عن الدنيا التي يعيش فيها.

من هذا يخرج صبيا على خلاف مع الحكومة بما بها لا يفهم لها معنى

ولا يتذوق لماطعا : فهو يعيش فى فوضى فى المنزل كطفل وفي الشارع كصبي فتشيع الفوضى فى نفسه ويفقد حرية النشاط والتصرف والنمو.

والفوضى الضاربة أطنابها بين أطفال الشعب مرجعها إلى عدم وجود الحكومة الصالحة بينهم ، وهم في حياتهم ونشاطهم يحتاجون إلى حكومة أيضا مثل باقي الجماعات والشعوب . فلهم نشاط ولهم مصالح ولهم غرائز وميول وهوى وشهوات وكل هذه تحتاج إلى التنظيم والتوجيه بحيث لا تتعارض وتتطاحن فيما بينها فتقضى على العلاقات السليمة بين الصبيان وتقضي على التوازن بين الدوافع والنوازع فى نفس الصبي الواحد.

مرجع الفوضى إلى هذا وإلى انعدام القوانين بين جماعات الصبيان فلا وجود للقانون ولا عمل له ان وجد بينهم وهم على حالهم الراهنة.

تزدحم الحياة بالاغراض والغايات والتصرفات والدوافع والنزعات والهوى والشهوات ، تضطرب فيها كل هذه القوى وتتفاعل يعطل بعضها بعضا أو يمين بعضها بعضا ثم تضطرب كل هذه القوى فى نفوس الأفراد فرداً فرداً وتدفع بهم إلى سلوك سبل ملتوية معقدة يقطع بعضها بعضا أشبه بخيوط العنكبوت الغير المستوية النسيج ، يسيرون إلى شئونهم كما تسير مئات من السيارات فى ميدان كبير دون تنظيم أو ترتيب يسير كل منها فى اتجاه تبعاً لهواها وتندفع كل منها إلى حيث يجب أن لا تندفع والنتيجة لكل هذا أنها تتوقف عن السير وتبطل حركاتها تتوقف الحياة وتتعطل الأغراض

مرجع هذا إلى انعدام القانون وشيوع الفوضى الذي قضى على حرية السير والسعى إلى الغايات ، فالقانون أبو الحريات وموجدها ولا حرية من غير قانون وحكومة تسير على تنفيذ القانون ومن مقاييس الحكومات الرشيدة سهرها على النظام وقدرتها على تدعيمه وحمل الناس على احترامه ومن مقاييس المدنية فى الشعوب حبها للنظام ومحافظتها عليه وحمل الأفراد على اتباعه ، لا ننكر انك تجد فى جميع الشعوب أناسا لا هم لهم إلا العبث

بالقانون والنظام لشهوات نفوسهم ولمصلحة عاجلة يريدون تحقيقها، وشأن هؤلاء كشأن السرطان في الجسم يعمل على شيوع الفوضى فيه وتعميم الفساد بحيث يزول عنه التماسك وتزول الوحدة فيه وهي حجر الزاوية في حياة الفرد والجماعة.

يوضع القانون عادة لمصلحة الجماعة كجماعة ولمصلحة اغلبية افراد الشعب العظمي، وهو الاداة في سعادتهم واستمتاعهم بلذائذ الحياة ؛ ويخرج إلى حيز الوجود لشعورهم بضرورته للحياة والعيش ولولا هـذا الشعور لحاجة اليه لما وضع أو خرج الى حيز الوجود فالاصل في القوانين حاجة الناس وضرورات الحياة بالطبع لا يخلو الامر من انه يكشف به بعض الناس عن تصرفات يمارسونها وشهوات يريدون تحقيقها ولا يستغرب من هـؤلاء الفكر له والتحايل عليه ؛ ولكل قانون طائفة من الناس تبرم به وتتنكر له وتود وتستطيع القضاء عليه وعلى آثاره ؛ ولا بأس من أن هذه الطائفة بالذات ترضي عن قانون آخر تكون قد برمت به طائفة اخرى والضابط لهؤلاء الناس انما هو الشهوة والهوى ؛ ولكن الشعوب الراقية لا تترك مثل هؤلاء يعبثون بالقوانين ماشاءت لهم اهواؤهم وشهواتهم فتعمل الشعوب من نفسها على ارغام مثل هؤلاء واخضاعهم القوانين حكومتها وتساعدها كل المساعدة في هذا السبيل .

وجـدنا أن اطفال الشعب لا يفهمون معنى القانون ؛ ولا يشعرون بضرورته لتنظيم الحرية والنشاط والحياة، لا معنى له عندهم في حياة الجماعات، هو تقييد دون فائدة أو غرض وما دام الفرد لا يستطيع أن يحصل منه على فائدة شخصية ذاتية قريبة منه ما دام لا يكشف يد صبي بالذات يعبث بحرية هـذا الفرد أو مـا دام لا يأخذ مـا بيد الناس ليعطيه لصاحبه فهو عبء لا معنى له وحمل تجب ازالته واراحة الناس منه .

يخرج الصبي إلى البيئة المصرية وهو بهذه الروح من التفكير القانون والحكومة .

ينتج الشعور بالواجب من شعور الفرد بالجماعة ومن الولاء لها فتوجد الجماعة أولاً ثم تنظم لها حياتها وتنصب حكومتها وتوضع لها القوانين التي تقيم الحدود بين الافراد ، وينتج الولاء للجماعة من هذه كلها ومن نشاط الفرد معها واستمتاعه بحريته وحياته ونشاطه ثم بعد هذا ينبثق في نفسه الشعور بالواجب عليه لها ويظهر ثم يقوى ويترعرع إلى أن يشعر في نفسه شعوراً قوياً بالتزام نوع معين من التصرفات التي تعود على الجماعة بالخير والنفع ، تنغرس في نفسه دوافع قوية ملحة تجعله لا يملك إلا أن يسهر على مصالح هذه الجماعة .

والشعور بالواجب حالة نفسية عامة : أو جو وبيئة نفسانية يعيش فيها الفرد وينشط ، وهذا الجو هو الذي يرسم للفرد خطة السير في الظروف المتعددة والأحوال المتباينة ويجعله ينزع في كل حالة بذاتها منهجاً خاصاً يتفق مع مصلحة الجماعة فيؤدي في كل حالة تعرض له ما يجب عليه كمواطن صالح ويري أن مصلحته الخاصة في نهاية الأمر ومصلحته على العموم وعلى أكبر الفروض واوسعها تتفق مع مصلحة شعبه وجماعته وإن كانت قد تختلف عنه في بعض التفاصيل ولانه درج على الحياة الاجتماعية وفهم معنى النظام والقانون والروح الاجتماعية تراه بفعل التفاصيل يرضى أن يضحى ببعض مصالحه الصغيرة في سبيل مصلحته الكبري التي تتفق ومصلحة الجماعة وخيرها وهذه هي الوطنية بمعناها الصحيح على ما نظن .

واطفال الشعب كما وجدناهم لا يعرفون معني الواجب على الاطلاق لا يعرفونه لأن الاسس التي ينبني عليها الشعور بالواجب معدومة في بيئتهم كما بينا في الصفحات السابقة فهذه الكلمة غير موجودة في قاموس الفاظهم ومعناها لا تستشعره نفوسهم ولا تحس به ولا تنفعل بمقتضاه وليس منشأ هذا نقصاً في كفايتهم الشخصية أو استعداداتهم الفطريه وانما مرجعه الى

العلل الكامنة فى بيئتهم وهم أطفال وبيئتهم وهم صبيان وبعبارة أخرى تنقصهم التربية ويعوزهم المران على هذه الخلة .

ولأن هذا الضرب من التربية والمران ينقصهم ولانهم لم يخضعوا فى تصرفاتهم عن فهم ورضاء وانما عن قسر وضغط وتهور ولانهم لا يعرفون معنى الحكومة والقانون وضرورتها لحياة الجماعات ولانهم لا يعرفون حياة الجماعات أصلا تراهم لا يفهمون معنى الملكية وحق الامتلاك يشعرون أن الملكية اغتصاب والقوي من امتلك وهذا الشيء ملك لفرد ما لانه استطاع أن يحصل عليه بطريقة من الطرق لا يهم نوعها أو درجتها من الاخلاق والفضائل وإنما المهم فيها أنها أوصلت الفرد إلى ما يطمع فى امتلاكه ثم يسلمون بملكية الفرد لشيء ما مادام الفرد قادراً على الدفاع عما يملك وصد الطامعين فيه وبعبارة أخرى ليست الملكية نظاماً أو حالة اجتماعية يجب أن يهتم لها الفرد ويحوطها بالضمانات التى تمكنها من الاستمرار والشيوع بين الجماعات وليس ضياع ما يملك الفرد كارثة اجتماعية بحال من الأحوال ليست شيئا يدعو الجماعة إلى التفكير والعمل بالوسائل والسبل التى تؤمن الافراد على ما يملكون حباً فى شيوع النظام والقانون بين الناس .

الملكية عندهم حالة فردية محضة لا تعنى الا الفرد ، فاذا ظلم الفرد ونزع منه ما يملك فهذه كارثة فردية يقارنها الصبي بنفسه كبعض الاصابات البدنية مثل مرض العين أو الأذن أو الأنف سواء بسواء تهم المصاب دون غيره وقدتهم صديقه أو قريبه أو من يعطف عليه من الصبيان أما الرأي العام والحياة الاجتماعية السليمة والحياة الاجتماعية القوية التي تتأثر من اغتصاب الأملاك فهذا شيء بعيد عن افهامهم وقد تخرب سيارة كاملة وقد يتعطل صاحبها عن اداء أعماله فتضيع عليه المصالح لأن صبياً رأي فى السيارة شيئا يريد امتلاكه بالطرق المتبعة عندهم فى الامتلاك يفعل هذا وهو يعلم كل العلم أن هذه القطعة التي انتزعها لا تفيد وقد يعلم أنها ضرورية لسير السيارة ونفعها

ومع ذلك يقدم على هذا العمل دون التفات إلى النتائج الاجتماعية والفردية التي تعود على الناس منه أو قد يحطم الصبي مصباح الشارع الذي ينير الطريق للناس والذي يعتبر حقاً وعدلاً ملكاً لهم دون الحكومة أو البلدية قد يفعل هذا لأنه يريد أن يمتلك قطعة معينة من المصباح لشهوة طارئة عنده .

بالطبع ترجع جميع هذه التصرفات إلى عوامل كثيرة منها حب النفس والأثرة ومنها إشباع حاسة المرح فيه ومنها عدم تقديره للجماعة وعدم فهمه لمعنى القانون والنظام الذي يحيط مصلحة الجماعات بالضمانات اللازمة ولكن منها أيضاً عدم فهم الصبي لمعنى الملكية الفردية أو الاجتماعية فهما يجعله يتصرف في هذه الشئون بطريقة غير هذه الطريقة وعلى وضع غير هذا والواقع أن أطفال الشعب لا يؤتمنون على الأملاك بجميع صورها ومظاهرها وهم على حالتهم الراهنة خطر على الحياة الاجتماعية والاقتصادية في البلاد وسوف يزداد خطرهم على مر السنين تبعاً لتقدمهم في السن واكتمال قواهم البدنية والعقلية .

حاسة العدل من أشرف الخصال الانسانية وأروعها ولا نقصد بها إقامة الحقوق وتوزيع الأحكام بين الناس بالقسطاس كل منهم يحصل على ما يجب له حقاً هذا عدل وهو مرغوب محبوب ويجب أن تتوطد أركانه بين الناس من الأمور العادية أن يحكم الفرد بالعدل بين خصمين إذا لم يكن له هوى أو غرض يجعله يميل إلى جهة وينحرف عن سبيل العدل هذا أمر سهل ميسور وقد يفعله الطاغون الغاشمون لا بل يفعله اللصوص وقطاع الطرق كما يفعله الأخلاقيون والقوامون على الفضائل .

لا نقصد إجراء العدل في بعض الحالات وإنما نقصد النزوع إلى العدل والاحساس العميق بقدسيته واتجاه الميول والمزاج إلى الانصاف اتجاهاً يكاد يكون فطرياً ينبعث من أصول النفس العميقة نريد هذا الاحساس الذي ينصف الخصم ضد النفس لأن الحق بيد الخصم هذا الشعور الذي يدفع

بالفرد للتنكر لمصلحته وشهوته وما تريده غرائزه لأن فى الاستجابة لهذه الغرائز اجحاف بفرد آخر وبخاصة إذا كانت العلاقة بينهما بعيدة عن روح الصداقة والمحبة هذه الحاسة التى تنصف الخصم وتعترف له بالفضل فى جميع الحالات وفى كل الظروف متى كان للخصم فضل يذكر هذه العظمة النفسانية التي لا تلق بالاهواء والشهوات والتي من شأنها أن تدفع عن الفرد الحيف والظلم بنفس القوة والعزم التى تدفع بهما عن الصديق .

هذه الظاهرة لا توجد فى أطفال الشعب ، ولو كان لها أثر فى تربيتهم وبيئتهم لظهرت فى ألعابهم وفى نشاطهم المحدود قد كانت تظهر فى اعتراف المغلوب فى اللعب مثلا للغالب بالأولوية والدراية فى اللعبة ، وقد كانت تظهر في خلافاتهم وفي قتالهم فيما بينهم أما المغلوب يصر على عدم الاعتراف بالفضل للغالب أما وهم لا يتسامحون مع الغالب بل ينسبون نجاحه إلى الظروف وإلى الغش وكسر القوانين ، أما وهم يعادون كل من ينتصر عليهم ويلجأون إلى الشتائم والضرب ليعوضوا عن الغلب الذي أصابهم فلا يمكن لنا أن نزعم أن بذور العدل تبث فى نفوسهم فى هذا الطور ، فقد سمع الكاتب وهو يكتب هذه الكلمات بأن تلاميذ مدرستين ثانويتين اميريتين قد اشتبكوا وتضاربوا وسالت دماؤهم لأن إحدى المدرستين فازت على الأخرى فى الملعب الرياضى فعوضا عن التهنئة والاعتراف بالفضل لأهله ضربوهم وجرحوهم وأنكروا عليهم كل فن فى اللعب وكل فضل لهم فى اجادته فغياب هذه الحاسة من أطفال الشعب تجعلهم بعيدين عن كل خصومة شريفة والشرف والنزاهة فى الخصومة ثمرة من ثمرة الضمير العادل المشبع بحب العدل وبفكرة العدل .

تنشأ كل هذه الخصال الاجتماعية الحميدة مثل العدل واحترام القانون والملكية والواجب من التنظيم الدقيق لحياة جماعات الصبيان ، يستطاع بث هذه لفضائل فيهم ومرانهم عليها بحيث تصبح جزءاً من كيان

الفرد يترع استجابة له ويتصرف بمقتضى مبادئه ، يخيل إلينا أنه من أسهل الأمور على الشعب المصري وحكومته ، أن يوالى هذا الجيل الصغير بالتنظيم والتوجيه حتى يتجه إلى الحياة الكاملة الصحيحة .

مرجع كل هذه العيوب فى أطفال الشعب إلينا نحن لأننا لم نعمل على توجيه حياتهم ، أما الأطفال أنفسهم فنظن أن عندهم من المواهب الفطرية الكامنة فيهم ما يطمئن الشعب المصري على مستقبله كأمة وكشعب .